منهج السلف فيما أورد من الإشكالات على أحاديث الصفات

دراسة موضوعية

إعداد
د/ علي بن محمد بن غرسان الشمراني
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين
بجامعة الملك خالد بأبها - قسم السنة وعلومها


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[3].

أما بعد[4]:

(١) سورة آل عمران : ١٠٢.

(٢) سورة النساء : ١.

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠-٧١.

(٤) هذه تسمى خطبة الحاجة رواها الترمذي في جامعه (ح١١٠٥)، والنسائي في سننه (٢/٢٣٨/ح١١٦٤)، وابن ماجه في سننه (ح١٨٩٢) ، وأحمد في المسند٦/٢٦٢-٢٦٤(ح٣٧٢٠-٣٧٢١) وغيرهم،وحسنها الترمذي،وينظر صحيح سنن الترمذي للألباني ٣٢٠/١ ، وله فيها رسالة باسم [خطبة الحاجة].

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة في الدين بدعة ، وكل ضلالة في النار.

وإن الله سبحانه وتعالى قد أكرم هذه الأمة بوضوح الطريق ، وسلامة المنهج ، فكانت كما وصفها الله سبحانه وتعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [١].

وسارت الأمة في عهد نبيها صلى الله عليه وسلم على هذا ، ثم في عهد الصحابة والتابعين ، ثم نبتت نبتة الاعتزال[٢]

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢)المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء، مجلس الحسن البصري، لقول واصل: بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً، ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن، وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم "معتزلة" أو "معتزلون" وهذه الفرقة تعتد بالعقل وتغلو فيه وتقدمه على النقل، وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم هي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولمعرفة مذهبهم بالتفصيل، يرجع إلى كتاب (الأصول الخمسة) للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وانظر: الفرق بين الفرق ص (١١٧-١٢٠) ، الموسوعة العربية الميسرة ص (١٧١٨) .

والتعطيل[1] والزندقة [2]، وغيرها من الطوائف المبتدعة فانتهجت لنفسها نهجا سارت فيه على غير ما سار عليه السلف الصالح فحرفت وعطلت. وإن مما كثر الكلام فيه عند هذه الطوائف صفات الله سبحانه وتعالى ، إذ حَكّمت العقلَ فيها ، فبدأت الأسئلة تُلقى على السلف في كيفية الصفات ، ومماثلتها ، حتى وصل الخطب بهؤلاء إلى نفي الصفات أو تأويلها بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه.

ولأهمية هذا الموضوع قام الأئمة بالرد على المنكرين ومناظرتهم ورد اشكالاتهم ، ولأن هذا الموضوع له صلة بموضوع مشكل الحديث ، لذا كانت هذه الدراسة المختصرة عن :

منهج السلف فيما أورد من الاشكالات على أحاديث الصفات (دراسة موضوعية).

---

(١) تعطيل الأسماء والصفات: هو نفي الصفات الإلهية عن الله وإنكار قيامها بذاته أو إنكار بعضها.

(٢) الزندقة : عبارة عن مصطلح عام يطلق على حالات عديدة، يعتقد إنها أطلقت تأريخيا لأول مرة من قبل المسلمين لوصف أتباع الديانات المانوية او الثنوية والذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم وهما النور و الظلام ولكن المصطلح بدأ يطلق تدريجيا على الملحدين و أصحاب البدع وكل من يحيا ما إعتبره المسلمون حياة المجون من الشعراء والكتاب وإستعمل البعض تسمية زنديق لكل من خالف مذهب أهل السنة ويصف البعض تيارات معينة من الصوفية بالزندقة.

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والخطة التي سار عليها البحث.

التمهيد : وفيه بيان معنى المشكل في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول : بيان مذهب السلف في الصفات.

المبحث الثاني : رد الإشكالات الواردة على أحاديث الصفات. وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : رد إشكال التمثيل والتجسيم.

المطلب الثاني : رد إشكال التكييف.

المطلب الثالث : رد تحكيم العقل فيما يجب أو يمتنع عن الله تعالى.

المطلب الرابع : رد طعنهم في أحاديث الصفات بحجة أن أكثرها جاءت بطريق الآحاد.

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

مما يدل على أهمية الموضوع ما يلي :

١- أنه يتعلق بعقيدة المسلم بحيث يعلم ما يجب أن يثبته لله تعالى وما ينفيه

٢- أن أحاديث الصفات في السنة النبوية قد احتلت حيزا كبيرا منها ، وصنف فيها العلماء تصنيفات مستقلة ككتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله وغيره.

٣- أن كتب الجوامع قد أفردت كتبا وأبوابا فيها لذكر جملة من الأحاديث الواردة في ذلك ، ككتاب التوحيد في صحيح البخاري.

٤- أن بعض شرّاح الحديث قد أوّل في صفات الله كثيراً ، وحرفها عن معناها الذي جاءت من أجله.

٥- أن القارئ لبعض كتب الشروح الحديثية ربما ظن لقلة علمه أن تأويل الصفات هو المنهج الصحيح عند أهل السنة والجماعة.

التمهيد: وفيه بيان معنى المشكل في اللغة والاصطلاح.

تعريف المشكل في اللغة:

يقال في اللغة عن الأمر المشتبه وغير المستبين: مشكل.

وأَشْكَلَ الْأَمْرُ الْتَبَسَ،وأَشكل عليّ الأمر: إِذا اخْتَلَط ، وأَشْكَلَتْ عليَّ الأَخبار وأَحْكَلَتْ بمعنىً واحد والأَشْكَل عند العرب اللونان المختلطان.

ومما تقدم يمكن أن يقال بأن المشكل لغة هو : المختلط والملتبس ، وكل ما لا يُبين. [١]

اصطلاحًا: "أحاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأسانيد مقبولة، يوهِم ظاهرها معانيَ مستحيلة، أو معارضة لقواعدَ شرعية ثابتة"[٢].

وإنّ مما ينبغي أن يُعلم أن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة لا تعارض كتاب الله سبحانه وتعالى ، أو تعارض أحاديث أخرى ثابتة أيضاً ، ولكن ربما يقصر نظر العالم ، أو طالب العلم عن معاني بعض الأخبار ، أو يظن أنها تعارض آية من كتاب الله فيعد ذلك مشكلاً ، فيلجأ إلى دفع هذا الإشكال إما برد الحديث أو تأويل معناه إذا كان في جانب صفات الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ينظر : مختار الصحاح ١٦٨،ولسان العرب ... ، ومختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء ص٣٠.

(٢) مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء ص٣٢.

المبحث الأول : بيان مذهب السلف في الصفات.

الكلام عن صفات الله عز وجل له أهمية عظمى بالنسبة للفرد المسلم ، وذلك لأن الإيمان بالله الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان لا يتحقق إلا إذا وصِف الله سبحانه وتعالى بما يستحقه من صفات الكمال اللائقة به ، ونعوت الجلال التي تُعرّف العبد بربه تعالى ، بل لا يكون العبد موحدا لله إلا إذا عرف الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأقر بذلك ، إذ الإقرار بأسماء الله وصفاته تحقيق لأحد أقسام التوحيد الثلاثة التي لا ينفك بعضها عن بعض.

ولما كانت أسماء الله وصفاته بهذه الأهمية كثر ذكرها في كتاب الله عز وجل وفي حديث رسول الله ﷺ ، ولوضوح توحيد الأسماء والصفات لم يقع بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خلاف ، ولم يتنازع اثنان منهم في أمر واحد منه ، بل الجميع كانوا على اتفاق تام بالإقرار به والتسليم بما جاء في القرآن والسنة منه.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ

"وَقَدْ تَنَازَعَ الصَّحَابَةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِ الْأَحْكَامِ، وَهُمْ سَادَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَكْمَلُ الْأُمَّةِ إِيمَانًا، وَلَكِنْ بِحَمْدِ اللَّه لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، بَلْ كُلُّهُمْ عَلَى إِثْبَاتِ مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ كَلِمَةً وَاحِدَةً، مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، لَمْ يَسُومُوهَا تَأْوِيلًا، وَلَمْ يُحَرِّفُوهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا تَبْدِيلًا، وَلَمْ يُبْدُوا لِشَيْءٍ مِنْهَا إِبْطَالًا، وَلَا ضَرَبُوا لَهَا أَمْثَالًا، وَلَمْ يَدْفَعُوا فِي صُدُورِهَا وَأَعْجَازِهَا، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَجِبُ صَرْفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا

وَحَمْلِهَا عَلَى مَجَازِهَا، بَلْ تَلْقَوْهَا بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، وَقَابَلُوهَا بِالْإِيمَانِ وَالتَّعْظِيمِ، وَجَعَلُوا الْأَمْرَ فِيهَا كُلِّهَا أَمْرًا وَاحِدًا، وَأَجْرَوْهَا عَلَى سَنَنٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَفْعَلُوا كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ حَيْثُ جَعَلُوهَا عِضِينَ، وَأَقَرُّوا بِبَعْضِهَا وَأَنْكَرُوا بَعْضَهَا مِنْ غَيْرِ فُرْقَانٍ مُبِينٍ، مَعَ أَنَّ اللَّازِمَ لَهُمْ فِيمَا أَنْكَرُوهُ كَاللَّازِمِ فِيمَا أَقَرُّوا بِهِ وَأَثْبَتُوهُ"(١).

وقد ظلّت القرون المفضلة تنهج نهج صحابة رسول صلى الله عليه وسلم في إثبات صفات الله والإقرار بها إلى أن نجم التهجم في الأمة ، وابتدع القول بنفي صفات الله ، فاحتضن أهل الاعتزال تلك المقالة ، وجعلوها عقيدة يدينون بها.

وأمّا أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة فإنهم أثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه الحسنى وصفاته العليا من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل (٢).

كما نفوا عنه ما لا يليق به من صفات النقص التي نفاها عن نفسه سبحانه ، ونفاها عنه رسوله ﷺ

مستندين في ذلك إلى قوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ (٣)(٤).

---

(١) إعلام الموقعين ١/٤٩ ، وينظر : مختصر الصواعق ص ٣٩ – ٣٠.

(٢) سيأتي شرح هذه المفردات في مباحث مستقلة .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ .

(٤) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ١/١٧٦ – ١٧٨ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . : "فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ – التَّوْحِيدُ فِي الصِّفَاتِ – فَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ: نَفْيًا وَإِثْبَاتًا؛ فَيُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ.

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَكَذَلِكَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مَعَ إثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ إلْحَادٍ: لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي آيَاتِهِ"(١).

وإليك هذه النقول عن سلف الأئمة في هذا الشأن :

يقول الإمام أحمد رحمه الله : «لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث »(٢).

ويقول نعيم بن حماد شيخ البخاري رحمهما الله :" من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيه ولا تمثيل "(٣).

ويقول أبو عثمان الصابوني رحمه الله : " قلت وبالله التوفيق : إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنه . حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم . يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣

(٢) الفتوى الحموية الكبرى ص ٢٦٥.

(٣)التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية ص٣١.

والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد به رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون أنه خلق آدم بيده ، كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1] ، ولا يحرّفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين، تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله ، ولا يُكيّفونها بكيف ، أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله ، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه ، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ،واتبعوا قول الله عز وجل﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[2].

وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله : ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[3]،وقوله:﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾[4].

(١) سورة ص الآية ٧٥.
(٢) سورة الشورى الآية ١١ .
(٣) سورة ص الآية ٧٥.
(٤) سورة المائدة ، الآية ٦٤ .

وردت الأخبار الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر اليد كخبر محاجّه موسى آدم وقوله له : " خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ"[1]

... وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى ، وما قاله رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ، ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل مُنكر ، ويُجرُونه على الظاهر ، ويكلون علمه إلى الله تعالى ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ ﴾[2]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء ، باب وفاة موسى وذكره بعد ١٢٥١/٣ ح (٣٢٢٨) . ومسلم في صحيحه كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٤٢/٤ ح(٢٦٥٢) .

(٢)سورة آل عمران ، الآية ٧ .

وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة يطول الكتاب بإحصائها ، وذكر اتفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها " [1]

والنقول في الباب كثيرة ومعلومة. [2]

هذه عقيدة السلف في صفات الله تعالى نسأل الله الثبات على دينه والفوز برضوانه.

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، ص ٣- ٥ .

(٢) ينظر للاستزادة : قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص ٦٠ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٧٥ ، وبحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة منها ص ٤٦ .

المبحث الثاني
رد الإشكالات الواردة على أحاديث الصفات

وقد جاء في أربعة مطالب :

المطلب الأول : رد اشكال التمثيل والتجسيم.

المطلب الثاني : رد اشكال التكييف.

المطلب الثالث : رد تحكيم العقل فيما يجب أو يمتنع على الله تعالى.

المطلب الرابع : رد طعنهم في أحاديث الصفات بحجة أن أكثرها جاءت بطريق الآحاد.

المطلب الأول : رد اشكال التمثيل والتجسيم.

المثيل لغة: الند والنظير.

والمماثلة: هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه.

والمشابهة: هي مساواة الشيء لغيره من أغلب الوجوه.

والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوق.

وهو كقول الممثل: له يد كيدي، وسمع كسمعي، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة.

والمقصود بالتشبيه هنا: هو التمثيل في نفس الذوات أو بالصفات القائمة بالذوات.

وهذا التشبيه منتف عن الله، وإنما خالف فيه المشبهة الممثلة الذين وصفهم الأئمة وذموهم. كما قال الإمام أحمد: "المشبه الذي يقول بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، ومن قال هذا فقد شبه الله بخلقه"[١] [٢].

أما التجسيم فهو من الألفاظ المجملة المحدثة التي أحدثها أهل الكلام، فلم ترد في الكتاب والسنة ولم تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين وأئمة

(١) بيان تلبيس الجهمية ١٤/٣

(٢)معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص٦٥.

الدين، فلذلك لا يجوز إطلاقها نفيا ولا إثباتا، فإن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفيا أو إثباتا.

قال الشيخ البراك :" إطلاق نفي الجسم عن الله تعالى هو من مذهب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة وكذلك الأشاعرة، وأما أهل السنة والجماعة فلا يطلقون لفظ الجسم على الله تعالى لا نفيًا ولا إثباتًا؛ وذلك أنه لفظ مجمل لأن له عدة معانٍ منها: ما يجب إثباته لله تعالى كالموجود والقائم بنفسه، ومنها: ما يجب نفيه كالمركب من الجواهر المفردة. ولهذا كان الواجب في مثل هذا هو الاستفصال ممن تكلم به عن مراده؛ فإن أراد حقًا قبل، وإن أراد باطلاً ردّ. هذا ولفظ الجسم مما لم يرد في كتاب ولا سنة، وعلى هذا فإطلاق نفيه أو إثباته في صفات الله تعالى من المحدثات في باب الأسماء والصفات"(١).

إذا عُلم هذا فليُعلم أن من أخطر القضايا التي خالف فيها المبتدعة أهلَ السنة والجماعة خوضهم في صفات الله عز وجل بالتأويل الذي ينهى عنه السلف ، خاصة الصفات الخبرية والأفعال التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم مثل صفات : اليد ، والعين ، والنفس ، والوجه ، والاستواء على العرش ، وأفعال الله تعالى مثل النزول ، والمجيء ، والرضا ، والغضب ، والحب ، والبغض ، ونحوها من الصفات الخبرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، أو صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١)تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري ص ٦٩.

فإنهم لم يؤمنوا بها كما جاءت وكما فعل السلف ، بل أوّلوها وصرفوا ألفاظها إلى غير ظاهرها ، **هروبا من شبهة التجسيم والتمثيل** [1].

وهذا مذهب باطل مردود ، وإليك نقولاً من كلام الأئمة في رده:

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه . رحمه الله . :

" وإذا قدّر أن المعارض أصر على تسمية المعاني الصحيحة التي ينفيها بألفاظه الاصطلاحية المحدثة ، مثل أن يدعي أن ثبوت الصفات ومباينة المخلوقات يستحق أن يسمى في اللغة تجسيماً وتركيباً ونحو ذلك ، قيل له : هب أنه سُمي بهذا الاسم ، فنفيك له إما أن يكون بالشرع ، وإما أن يكون بالعقل ، أما الشرع فليس فيه ذكر هذه الأسماء في حق الله لا بنفي ولا إثبات ، ولم ينطق أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى بذلك ، لا نفياً ولا إثباتاً ، بل قول القائل : " إن الله جسم أو ليس بجسم ، أو جوهر أو ليس بجوهر ، أو متحيز أو ليس متحيز ، أو في جهة أو ليس في جهة ، أو تقوم به الأعراض والحوادث أو لا تقوم به ، ونحو ذلك.

كل هذه الأقوال محدثة بين أهل الكلام المحدث ، لم يتكلم السلف والأئمة فيها ، لا بإطلاق النفي ولا بإطلاق الإثبات ، بل كانوا ينكرون على أهل الكلام الذين يتكلمون بمثل هذا النوع في حق الله تعالى نفياً وإثباتاً.

وإن أردت أن نفي ذلك معلوم بالعقل ، وهو الذي تدّعيه النفاة ، ويدّعون أن نفيهم المعلوم بالعقل عارض نصوص الكتاب والسنة ، قيل له : فالأمور العقلية المحضة لا عبرة فيها بالألفاظ فالمعنى إذا كان معلوما إثباته بالعقل لم

(١)بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٦٩ .

يجز نفيه ، لتعبير المعبر عنه بأي عبارة عبر بها ، وكذلك إذا كان معلوما انتفاؤه بالعقل لم يجز إثباته بأي عبارة عبر بها المعبر ، وبين له العقل ثبوت المعنى الذي نفاه ، وسماه بألفاظه الاصطلاحية "(١) .

ويقول أبو جعفر الطحاوي رحمه الله :" وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ. مَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ. وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ. وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ ".

قال ابن أبي العز . رحمه الله . شارحاً قول الطحاوي هذا : "لَمَّا ذَكَرَ فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، مِنْهُ بَدَا، نَبَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ، نَفْيًا لِلتَّشْبِيهِ عَقِيبَ الْإِثْبَاتِ، يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ وُصِفَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، لَكِنْ لَا يُوصَفُ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ الَّتِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ بِهَا مُتَكَلِّمًا، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. وَمَا أَحْسَنَ الْمَثَلَ الْمَضْرُوبَ لِلْمُثْبِتِ لِلصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، بِاللَّبَنِ الْخَالِصِ السَّائِغِ لِلشَّارِبِينَ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ فَرْثِ التَّعْطِيلِ وَدَمِ التَّشْبِيهِ. وَالْمُعَطِّلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَالْمُشَبِّهُ يَعْبُدُ صَنَمًا"(٢).

ويقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ :" يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل ، والثاني: التكييف.

---

(١)درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢٩٣/١.

(٢)شرح العقيدة الطحاوية . ٢٠٦/١ .

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى **مماثل** لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد **باطل بدليل السمع والعقل.**

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (1).

وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾(2).

وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾(3).

.وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ (4)

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد عُلم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

---

(1) سورة الشورى الآية ١١ .

(2) سورة النحل الآية ١٧.

(3) سورة مريم الآية ٦٥.

(4) سورة الإخلاص الآية ١.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه
قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [1].[2].

والمبتدعة عندما قالوا بالتمثيل والتجسيم غفلوا عمّا يترتب على فعلهم هذا من تحريف لكلام الله ، وتعطيل لمعانيه، والقول على الله بغير علم ، وغير ذلك من المستلزمات التي يقتضيها التأويل وتنافي التسليم لله تعالى ، إذاً كيف يليق أن يقول الله عن نفسه ، ويقول عنه رسوله ﷺ، بصفات لا تليق ، أو تقتضي التشبيه والتجسيم ، ثم لا يكشف هذه المسألة إلا المتكلمون بعد القرن الثالث الهجري ؟!..

(١) سورة الشورى الآية ١١ .

(٢)القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ٦٤-٦٥ .

فهل فات هذا الفهم على الصحابة والتابعين وسلف الأمة ثم أدركه المتكلمون ؟ هذا مما لا يليق تجاه كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأئمة الهدى الأوائل ممن هم أعلم منهم وأتقى لله ، فإن الله سبحانه حين وصف نفسه بتلك الصفات كاليدين ، والوجه ، والنفس ، والرضا ، والغضب ، والنزول ، والمجيء ، والاستواء ، والعلو.. الخ من الصفات فقد سد باب شبهة التمثيل بقوله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (١).

فهل الذين أؤلوا تلك الصفات أعلم بالله من الله ؟ وهل هم أشد تنزيهاً لله من رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل هم أعلم بمراد الله من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة من التابعين وتابعيهم وأئمة الهدى والسنة في القرون الفاضلة ، الذين أمرّوا هذه الصفات وغيرها من أمور الغيب كما جاءت عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى على مراد الله ورسوله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ؟! (٢).

---

(١) سورة الشورى الآية ١١ .

(٢) ينظر : بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٦٩ – ٧٠ .
وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٣ .
والتمهيد لما الموطأ من المعاني والأسانيد ١٣٥/٧ .
وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ١٨٨/١ وما بعدها .
وحوار هادي مع محمد الغزالي ص ١٣٢ – ١٣٣ .

والذي ينظر في بعض كتب الشروح الحديثية يجد بعض مؤلفيها يسير على قاعدة التأويل ، وسأضرب بعض الأمثلة على ذلك.

المثال الأول:

قال ابن عبد البر رحمه الله : "وَأَمَّا قَوْلُهُ {يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ} أَيْ يَتَلَقَّاهُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ والعفو والغفران.

ولفظ الضحك هاهنا مجازا لِأَنَّ الضَّحِكَ لَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – عَلَى مَا هُوَ مِنَ الْبَشَرِ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا تُشْبِهُهُ الْأَشْيَاءُ "(١).

المثال الثاني:

قال بدر الدين العيني رحمه الله : " قَوْله: قدمه قيل: المُرَاد بهَا الْمُتَقَدّم أَي: يضع الله فِيهَا من قدمه لَهَا من أهل الْعَذَاب، أَو ثمَّة مَخْلُوق اسْمه الْقدَم أَو أَرَادَ بِوَضْع الْقدَم الزّجر عَلَيْهَا والتسكين لَهَا، كَمَا تَقول لشَيْء تُرِيدُ محوه وإبطاله: جعلته تَحت قدمي، أَو: هُوَ مفوض إِلَى الله"(٢).

المثال الثالث:

قال الكرماني رحمه الله :" البرهان قائم على امتناع حملها على حقائقها اللغوية فأولوا اليد بالقدرة فهو من صفات الذات، ويقال هو في قبضتي أي في قدرتي ، ويقال اعمل مثل هذا بأصبعي إذا أراد القدرة عليه على سبيل استحقاره.

---

(١) الاستذكار ٩٧/٥.

(٢)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٩٠/٢٥.

فإن قلت القدرة واحدة فما معنى بيدي قلت هذا تمثيل إذ من اعتنى بشيء واهتم بإكماله باشره بيديه " (١).

هذه بعض الأمثلة على تأويل الصفات ولا نتهم أصحابها بتعمد ذلك لكنهم عاشوا في فترة زمنية كان المذهب السائد في بعض الأقاليم هو التأويل ، ونسأل الله لنا ولهم العفو والغفران ، وقد بذلوا في سبيل خدمة السنة النبوية جلّ أعمارهم فرحمهم الله رحمة واسعة.

(١)الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ١٢٦/٢٥.

المطلب الثاني : رد إشكال التكييف

التكييف هو :" أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيّدها بمماثل" [(١)].

وقال ابن مهدي – رحمه الله – : " التكييف معناه تعيين كنة الصفة ، يقال كيّف الشيء : أي جعل له كيفية معلومة ، وكيفية الشيء صفته وحالته.

ومعنى التكييف اصطلاحاً : تعيين كنة الصفة وكيفيتها ، فالمكيفة هم الذين يطلبون تعيين كنة صفات الباري ، وهذا مما استأثر الله به ، فلا سبيل إلى الوصول إليه "[(٢)].

وظن المبتدعة أن إثبات الصفات يستلزم منه التكييف لذلك أكثروا من أسئلة الأئمة عنها.

قيل للإمام مالك رحمه الله :﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾[(٣)] كَيْفَ اسْتَوَى فقال : اسْتِوَاؤُهُ مَعْقُولٌ ، وَكَيْفِيَّتُهُ مَجْهُولَةٌ ، وَسُؤَالُكَ عَنْ هَذَا بِدْعَةٌ ، وَأَرَاكَ رَجُلَ سُوءٍ " [(٤)].

وسئل محمد بن الحسن رحمه الله عن الآيات والأخبار التي فيها صفات الله تعالى ما يؤدي ظاهره إلى التشبيه فقال :" نُمِرُّها كما جاءت ، ونؤمن بها ، ولا نقول : كيف و كيف "[(٥)].

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ٦٥ .

(٢) التحفة المهدية ص ٣٢ .

(٣) سورة طه الآية ٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد ١٣٨/٧ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية . ٢٥٦ .

وعلى هذا جاء كلام الأئمة ، يقول ابن أبي العز رحمه الله : " وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات فيتسلط بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية كاليد والوجه ، قال أبو حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر : له يد ووجه ونفس ، كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس ، فهو له صفة بلا كيف "(١).

وقال الإمام وكيع رحمه الله :" ونسلم هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول : كيف كذا ؟ ولا لم كذا؟"(٢)

ويقول ابن عبد البر رحمه الله :" وقد روينا عن مالك بن أنس ، والأوزعي ، وسفيان بن سعيد ، وسفيان بن عيينة ، ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قال : أمروها كما جاءت "(٣)

هذه أقوال الأئمة في التحذير من التكييف ، ومن زعم أن إثبات الصفات يستلزم التكييف فقد اخطأ ، واعتقد اعتقاداً باطلاً.

يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – : " وهذا إعتقاد باطل بدليل السمع والعقل ".

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) السنة لعبد الله بن الأمام أحمد ٢٦٧/١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله . ٩٦/٢ .

أما السمع :

فمنه قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١).

وقوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢).

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبر عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها فيكون تكييفنا قَفْواً لما ليس لنا به علم ، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل :

فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته ، أو العلم بنظيره المساوي له ، أو الخبر الصادق عنه ، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها.

وأيضاً: فإننا نقول : أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى ؟

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك !

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها لأنه لا علم لك بذلك !

---

(١)سورة طه . الآية ١١٠ .

(٢)سورة الإسراء الآية ٣٦ .

حينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان ، أو تقريراً باللسان ، أو تحريرا بالبيان... وإذا كان الكيف غير معقول ، ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان { العقلي } و { الشرعي } فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها ، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته فالجأ إلى ربك فإنه معاذُك وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [1]. [2].

وبهذا يُعلم أن اثبات الصفات لا يلزم منه تكييفها ، وبه يندفع إشكال التكييف ، والله أعلم.

المطلب الثالث: تحكيم العقل فيما يجب أو يمتنع على الله تعالى

وذلك أن المبتدعة زعموا أن الصفات لا تثبت إلا بالعقل ، وأن العقل هو الذي يلجأ إليه في إثبات كل صفة لله تعالى.

قال الشيخ ناصر العقل حفظه الله :" فالقاعدة عندهم كما قررها الرازي والجويني وغيرهما (أن الدلائل النقلية لا تفيد اليقين) و (أن الدلائل النقلية ظنية ، وأن العقلية قطيعة ، والظن لا يعارض القطع) –سبحان الله –

(١)سورة فصلت الآية ٣٦ .

(٢)القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٦٥-٦٧ .

فوصفوا كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه ظني ، وأوهام البشر وتخرصاتهم وخبطهم في الغيب بأنه قطعي ، ولو عكسوا لأصابوا الحق "(١).

هذا وقد أجاب الأئمة على شبهتهم هذه ، وإليك شيئاً مختصراً مما قالوا:

قال الإمام محمد بن شهاب الزهري –رحمه الله – :" من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم "(٢).

وقَالَ الشَّافِعِي رَحمَه الله تَعَالَى:" لله أَسمَاء وصفات لَا يسع أحدا ردهَا وَمن خَالف بعد ثُبُوت الْحجَّة عَلَيْهِ فقد كفر وَأما قبل قيام الْحجَّة فَإِنَّهُ يعْذر بِالْجَهْلِ لِأَن علم ذَلِك لَا يدْرك بِالْعقلِ وَلَا الروية والفكر"(٣)

ويقول الإمام الطحاوي – رحمه الله – :" (وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالْاسْتِسْلَامِ).

قال الشارح: هَذَا مِنْ بَابِ الْاسْتِعَارَةِ، إِذِ الْقَدَمُ الْحِسِّيُّ لَا تَثْبُتُ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ شَيْءٍ. أَيْ لَا يَثْبُتُ إِسْلَامُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ، وَيَنْقَادُ إِلَيْهَا، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا وَلَا يُعَارِضُهَا بِرَأْيِهِ وَمَعْقُولِهِ وَقِيَاسِهِ"(٤).

وقال أيضاً :" وَالْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّسُولَ مَعْصُومٌ فِي خَبَرِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ" (٥).

---

(١) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٧٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٣١ .

(٣) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص ٣٥.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية . ١/٢٣١ .

(٥) المصدر السابق ١/٢٣٢ .

ويقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – :" العقل لا مدخل له في باب الأسماء والصفات:لأن مدار إثبات الأسماء والصفات أو نفيها على السمع، فعقولنا لا تحكم على الله أبداً، فالمدار إذاً على السمع، خلافاً للأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل التعطيل، الذين جعلوا المدار في إثبات الصفات أو نفيها على العقل، فقالوا: ما اقتضى العقل إثباته، أثبتناه، سواء أثبته الله لنفسه أم لا! وما اقتضى نفيه، نفيناه، وإن أثبته الله! وما لا يقتضي العقل إثباته ولا نفيه، فأكثرهم نفاه، وقال: إن دلالة العقل إيجابية، فإن أوجب الصفة، أثبتناها، وإن لم يوجبها، نفيناها! ومنهم من توقف فيه، فلا يثبتها لأن العقل لا يثبتها لكن لا ينكرها، لأن العقل لا ينفيها، ويقول: نتوقف! لأن دلالة العقل عند هذا سلبية، إذا لم يوجب، يتوقف ولم ينف!
فصار هؤلاء يحكّمون العقل فيما يجب أو يمتنع على الله عز وجل...والحاصل أن العقل لا مجال له في باب أسماء الله وصفاته"[1].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ١/ ٨٠-٨١ .
وينظر : مختصر الصواعق المرسلة . ص ٨٠-٨١ .

المطلب الرابع:رد طعنهم في أحاديث الصفات بحجة أن أكثرها جاءت بطريق الآحاد

ذهبت المعتزلة إلى أن خبر الآحاد لا يقبل فيما طريقة الاعتقاد ؛ لأن الاعتقاد إنما يُبنى على اليقين لا الظن ، وخبر الآحاد إنما يفيد الظن ، وأما اليقين فإنما يؤخذ من حجج العقول.

وخبر الآحاد هو :

"لغة : جمع أحد بمعنى الواحد ، وهو ما يرويه شخص واحد.

اصطلاحا : هو الحديث الذي لم يجمع شروط المتواتر" (١).

الرد على من زعم أنه لا يحتج بخبر الآحاد :

الأدلة شاهدة من كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأقوال السلف على الاحتجاج به ، وقبول الاستدلال به ، ولو ترك الاحتجاج به لتهاوت أركان الشريعة الإسلامية ، واندثر الحق وغاب الهدى ، وأصبح للباطل صولته ، وللضلال سلطته وإليك شيئاً مختصراً من الأدلة وكلام أهل العلم في الاحتجاج بخير الواحد.

أولاً : القرآن الكريم :

قال الله تعالى :﴿ * وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٢).

---

(١) نزهة النظر . ص ١٣.

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢.

أورد الإمام البخاري – رحمة الله – هذه الآية في ترجمة أول باب من كتاب أخبار الآحاد ليدلل بها على العمل به وأنه حجة فقال :كتاب أخبار الآحاد.

١- باب مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الأَذَانِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ.

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى :﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ ، وَيُسَمَّى الرَّجُلُ طَائِفَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴿٩﴾ ﴾ [(١)] فَلَوِ اقْتَتَلَ رَجُلاَنِ دَخَلَ فِي مَعْنَى الآيَةِ.وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [(٢)] ، وَكَيْفَ بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَرَاءَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَإِنْ سَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ رُدَّ إِلَى السُّنَّةِ. [(٣)]

وقال ابن القيم – رحمه الله - :" وَالطَّائِفَةُ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ فَمَا فَوْقَهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الطَّائِفَةَ تُنْذِرُ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ وَالْإِنْذَارُ: الْإِعْلَامُ بِمَا يُفِيدُ الْعِلْمَ "[(٤)].

ثانيا : السنة النبوية:

(١) سورة الحجرات الآية ٩.

(٢)سورة الحجرات الآية ٦.

(٣) صحيح البخاري ٩/١٠٧.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ٥٧٨.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ» (١).

قال ابن القيم – رحمه الله –: "أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَخْبَرَهُمُ الْوَاحِدُ وَهُمْ بِقِبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ أَنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ قَبِلُوا خَبَرَهُ وَتَرَكُوا الْحُجَّةَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا وَاسْتَدَارُوا إِلَى الْقِبْلَةِ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ شُكِرُوا عَلَى ذَلِكَ وَكَانُوا عَلَى أَمْرٍ مَقْطُوعٍ بِهِ مِنَ الْقِبْلَةِ الْأُولَى، فَلَوْلَا حُصُولُ الْعِلْمِ لَهُمْ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ لَمْ يَتْرُكُوا الْمَقْطُوعَ بِهِ الْمَعْلُومَ لِخَبَرٍ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ"(٢).

ثالثاً: أقوال أهل العلم في هذا :

يقول الإمام الشافعي – رحمه الله – :" فرأينا الدلالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبول خبر الواحد عنه ، فلزمنا والله أعلم أن نقبل خبره إذا كان من أهل الصدق كما لزمنا قبول عدد من وصفت عدده في الشهادة ، بل قبول خبر الواحد عنه أقوى سبباً بالدلالة عنه "(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في القبلة ١/١٥٧ ح (٣٩٥) ، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحويل القبلة من القدس على الكعبة ١/٣٧٥ ح (٥٢٦).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ٥٧٦.

(٣) اختلاف الحديث . ص ١٣.

ويقول ابن صلاح – رحمه الله – وهو يتحدث عن الحديث الصحيح :" وهذا القسمُ جميعُهُ مقطوعٌ بصِحَّتِهِ، والعِلْمُ اليقينيُّ النَّظريُّ واقعٌ بهِ، خلافاً لقولِ مَنْ نَفَى ذلكَ، مُحْتَجّاً بأنَّهُ لا يُفيدُ في أصلِهِ إلاَّ الظَّنَّ ، وإنَّما تلقَّتْهُ الأمَّةُ بالقبولِ؛ لأنَّهُ يجبُ عليهمُ العملُ بالظَّنِّ، والظَّنُّ قَدْ يُخْطِئُ. وقدْ كنتُ أميلُ إلى هذا، وأحسبُهُ قويّاً ثُمَّ بانَ لي أنَّ المذهبَ الذي اخْتَرْناهُ أوَّلاً هوَ الصحيحُ ؛ لأنَّ ظَنَّ مَنْ هوَ معصومٌ مِنَ الخطأِ لا يُخْطِئُ، والأمَّةُ في إجماعِها مَعْصومةٌ مِنَ الخطأِ "(١).

ويقول ابن القيم – رحمه الله – :" وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْأَخْبَارِ فَهُوَ مَا لَا يَرْوِيهِ إِلَّا الْوَاحِدُ الْعَدْلُ وَنَحْوُهُ، وَلَمْ يَتَوَافَرْ لَفْظُهُ وَلَا مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ عَمَلًا بِهِ أَوْ تَصْدِيقًا لَهُ... فَهَذَا يُفِيدُ الْعِلْمَ الْيَقِينِيَّ عِنْدَ جَمَاهِيرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

أَمَّا السَّلَفُ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ نِزَاعٌ، وَأَمَّا الْخَلَفُ فَهَذَا مَذْهَبُ الْفُقَهَاءِ الْكِبَارِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَالْمَسْأَلَةُ مَنْقُولَةٌ فِي كُتُبِ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ"(٢).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – :" وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد ، ولا يثبت بها شيء من صفات الله زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين ، وأن

---

(١) علوم الحديث . ص ٢٤.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ٥٦٠-٥٦١.

العقائد لابد فيها من اليقين باطل لا يعول عليه ، ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد تحكيم العقل "(١).

وكلام أهل العلم كثير في هذا ، وإنما اقتصرت على هذا طلباً للاختصار (٢).

وبهذا يعلم بطلان حجة من رد أحاديث الآحاد ، وتبين أن الصحيح هو قبولها في العقائد والأحكام وغيرها ، والله أعلم.

---

(١) مذكرة في أصول الفقه . ص ١٠٥ .

وينظر أيضاً : اخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله ، وغير ذلك .

(٢)لي بحث بعنوان :دراسة موجزة عن المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من السنة النبوية ،أطلت فيه النفس عن موضوع خبر الآحاد .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فلقد ظهر لي من خلال هذا البحث المختصر : الجهد العظيم الذي بذله علماء السلف قديماً وحديثاً في الوقوف في وجه أهل البدع ، ورد باطلهم ، وهذا من حماية الله تعالى لكتابه وسنة نبيه فله الحمد والشكر.

وعلى المسلم أن يلزم الوحيين –كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم – ويكثر من سؤال الله الثبات عليهما ، فإن الأهواء كثيرة ، وإن البدع عظيمة ، وهي تظهر في كل عصر بما يناسبه ، ولن تنقطع إلى قيام الساعة.

والخير كله في لزوم ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، اسأل الله أن يثبتنا على دينه حتى نلقاه.

وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

فهرس المصادر

١- أخبار الآحاد في الحديث النبوي ، الشيخ ابن جبرين ، دار عالم الفوائد ١٤١٦هـ.

٢- اختلاف الحديث ، الإمام الشافعي ، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز ، دار الكتب العلمية ط١/١٤٠٦هـ.

٣- إعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزيه ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ١٣٩ذ٨٩هـ.

٤- بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، د. ناصر العقل ، دار العاصمة ، ط٢ ، ١٤١٩ هـ.

٥- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، فالح بن مهدي ، تحقيق د. عبدالرحمن المحمود ، دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٤هـ.

٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، المكتبة التجارية.

٧- جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، توزيع الباز ، ١٣٩٨ هـ.

٨- حوار هادئ مع محمد الغزالي ، سلمان العوده ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ.

٩- السنة ، عبدالله بن الإمام أحمد ، تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ، الرمادي للنشر ، ط٢ ، ١٤١٤هـ.

١٠- شرح العقيدة الطحاوية ،ابن أبي العز ،تحقيق د. عبدالله التركي ، مؤسسة الرسالة ،ط٥، ١٤١٣ هـ.

١١- شرح الواسطية ، ابن عثيمين ، عناية : سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي ، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٤، ١٤١٠هـ.

١٣- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، تحقيق: د. محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة التجارية ، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لأبي عثمان الصابوني، تحقيق: نبيل بن سابق السبكي ، ط١، ١٤١٣هـ.

١٥- علوم الحديث ، ابن صلاح ، تحقيق : نور الدين عتر ، المكتبة العلمية ، ١٤٠١هـ.

١٦- فتح الباري ، ابن حجر ، دار الريان للتراث ، ط١، ١٤٠٧ هـ.

١٧- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، صديق حسن خان. تحقيق : د. عاصم بن عبدالله القريوي ، ط١، ١٤٠٤ هـ.

١٨- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، ابن عثيمين ، تحقيق : أشرف عبدالمقصود ، أضواء السلف ، ١٤١٦ هـ.

١٩- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، ط١ ، ١٤١٢ هـ.

٢٠- مذكرة في أصول الفقه ، محمد الأمين الشنقيطي ، مطابع التوحيد.

٢١- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق الأمين ، مكتبة الرشد ، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٢- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ،ابن حجر ، مطبعة الصباح، دمشق.